المقدمة

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربّ العالمين، حمدًا يليق بجلاله وعظمته وقدرته، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمدٍ – ﷺ – المصطفى بدين الإسلام ولغة العرب ليبلِّغَ العالمين.

وبعدُ، فهذى رسالة دكتوراه بعنوان:

(الجوامدُ وتَحَوُّلاتُهَا البِنْيَوِيَّة والمَوْقِعِيَّة: دراسة نحوية صرفية)

إنَّ ظاهرة الجمود فى العربية هى الوجهُ الآخرُ الأصيلُ لظاهرة الاشتقاق، وقد نالت الأخيرةُ حظًّا عظيمًا من اهتمام الباحثين المعاصرين، فَتَنَوَّعَ ما كُتِبَ فيها بين بحوثٍ وكتبٍ ورسائل علمية ومقالات.

ربما لم تَحْظَ ظاهرةٌ فى العربية بهذا الاهتمام فى الدرس اللغوى كما حظيت ظاهرة الاشتقاق، وفى المقابل فإننا لا نكاد نظفر بدراسة واحدة شاملة تتناول ظاهرة الجمود رغم كونها تُمَثِّلُ – إن صحَّ التعبيرُ – البِنْيَةَ الأساسيةَ للعربية فى تصورها الأول لموجودات العالم الماديّة، بحيث يمكن – من خلال أقسامها – اكتشافُ كثيرٍ من ملامح تاريخ العربية الضارب فى أعماق التاريخ، فضلا عن إمكانِ التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه العربيةُ فى المستقبل بصورةٍ ما.

ولعل أكبر باعث لتناول هذه الظاهرة فى العربية بالدرس والتحليل أن الأقلام التى تعرضت لها قد عالجت بعض صورها معالجة جزئية تخلو من النظرة الشاملة لظاهرة الجمود.

إنَّ هدف هذه الدراسة – فى تصور الباحث – تقديم رؤية شاملة لظاهرة الجمود فى العربية، وحصر فصائله ورصد التحولات البِنْيَوِيَّة والمَوْقِعِيَّة من الجمود إلى الوَصْفِيَّة، ومن الوَصْفِيَّة إلى الجمود على المستويين: الصرفى والنحوى وما يحيط بهما من غلالات دلاليَّة، فضلاً عن التحديد الدقيق لطبيعة ظاهرة الجمود، إذ هو – كما يزعم الباحث – درجاتٌ مختلفةٌ بالقياس إلى قطبى الجمود والاشتقاق.

وقد قَصَدَ الباحثُ بـ(التحولات البِنْيَوِيَّة) فى العنوان: التغيير الحادث فى بنية الأسماء لتتحول من الوصف إلى الجمود والعكس وهو المستوى الصرفى، وقصد بـ(التحولات والمَوْقِعِيَّة): تأثير الموقع النحوى فى تحول الاسم الجامد إلى وصف والعكس فى التركيب النحوى.

وفى سياق الموضوع يجيب الباحث عن تساؤلاتٍ تتعلقُ بهذه الظاهرة الكونية اللغوية:

- ما أهمية ظاهرة الجمود للعربية؟
- ما أسباب الجمود فى اللغة؟ وما القوانين التى تتحكم فى هذه الظاهرة؟

- هل هناك عَلاقةٌ بين البناء فى اللغة وظاهرة الجمود باعتبار أن معظم الفصائل اللغوية الجامدة يغلب عليها البناء، مثل: (الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والحروف، وأسماء الأفعال، وأسماء الشرط والاستفهام، وبعض الظروف...)؟
- ما الطريقة التى اتبعتها العربية فى انتزاع المشتقات القياسية من الأسماء الجامدة سواء العربية أم الأعجمية؟ وما طبيعة التغيير الصرفى والصوتى الطارئ على بِنْيَةِ الأسماء الجامدة الأعجمية بما يُهَيِّئُهَا للانتظام فى سلسلة الاشتقاق القياسية؟
- هل للمخزونِ الزمنىِّ دورٌ فى تحولات الكلمة بين قطبى الجمود والوَصْفِيَّة على المستوى الدلالى؟ وما نتائج ذلك فى مستوى البِنْيَة والمَوْقِعِيَّة؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات والإشكالات قد تضع أيدينا على نتائجَ جديدةٍ وواضحةٍ تُفَسِّرُ ظاهرة الجمود فى اللغة تفسيرًا من شأنه أن يزيدَنا وعيًا بطبيعة العربية وخصائصها الأصيلة.

ومن الدراسات الحديثة التى عَالَجَتْ بعضَ ظواهرِ الجمودِ فى العربية:

- أسماء الأفعال وأسماء الأصوات فى اللغة العربية.

الدكتور محمد عبدالله جبر – دار المعارف – الإسكندرية – ١٩٨٠م.

- اسم الفعل فى كلام العرب والقرآن الكريم.

الدكتور السيد محمد عبد المقصود – مطبعة الأمانة – القاهرة – ط١ – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

- الأفعال الجامدة: دراسة وتطبيق على كتاب الله – عز وجل –

الدكتور حسين البدرى النادى – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ط١ – ١٩٨٤م.

- أيس وليس بين العربية والسريانية: دراسة مقارنة.

ماجدة عماد الدين سالم – دار الفكر العربى.

- من أساليب المدح والذم: نعم وبئس: دراسة تطبيقية.

الدكتور محمد عبد النبى عبد المجيد – دار البيان – القاهرة.

- أساليب التعجب فى اللغة العربية.

صلاح عبد العزيز على السيد – مكتبة الرضا – المنصورة – ١٩٩١م.

- الفعل زمانه وأبنيته.

الدكتور إبراهيم السامرائى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٣ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

وظاهرٌ من عناوين هذه الدراسات والبحوث اقتصارُها على جانب مُحَدَّدٍ من ظاهرة الجمود فى العربية، بل إن بعضها لم يكن من أغراضه معالجة الظاهرة فى ذاتها وتحليل صورها واكتشاف عللها، وهو الغالب على معظم الدراسات السابقة إن لم يكن كُلُّها، وبعضُها اكتفى برصد الأحكام

النحوية لأساليبَ مُعَيَّنَةٍ كـ(المدح والذم، والتعجب)، ومِنْ ثَمَّ كان ذِكْرُ الجمود فيها عارضًا بحسب ما اقتضاه التحليل النحوى.

وظاهرةُ الجمودِ فى العربية ظاهرة واسعة متفرقة فى أبواب النحو والصرف، لم يسعَ الباحثون – حتى الآن فيما بحثتُ – إلى جمع شتاتها وبيان أحكامها واستخلاص خصائصها بصورة شاملة تكشفُ عن حقيقة هذه الظاهرة وأسبابها، فتبحثُ فى أصولِها وجذورها وفروعها، وتحوُّلاتِها البِنْيَوِيَّة والمَوْقِعِيَّة، فَتُؤَصِّلُ لها وتكشفُ مساراتِها وامتداداتِهَا فى تراث العربية قديمًا وحديثًا.

ولعل هذا يكون باعثا كافيًا لإخراج هذه الدراسة إلى الوجود لعلها تسدُّ نقصًا فى جانب من جوانب الدرس النحوى والصرفى واللغوى فى مكتبتنا العربية.

وقد اقتضت طبيعةُ الموضوع أن يُعَالَجَ فى بابين وخاتمةٍ، ويسبق ذلك (مدخلُ الرسالة)[1]، وفيه تناول الباحثُ التقسيمُ الكلىّ للكلم بوصفِه مشتركًا لغويًّا إنسانيًّا لا تكاد تتفاضل فيه اللغات، وإنما يَتَبَدَّى الاختلافُ فى التقسيمات الداخلية لكل لغة على حدة، وقد كان غرضُ الباحثِ من ذلك الفصلَ بين دائرة المشترك اللغوى العالمى ودائرة الخصوصيّة اللغويّة للعربيّة بما يسمح بالكشف عن نطاق التقاطع والاشتراك ونطاق التمايز والانفصال الذى يمثل هُوِّيَّةَ العربيةِ.

وكان من نتيجة ذلك أن تَحَيَّزَ الباحثُ – على وجه العموم – للمصطلح النحوى العربى دون إغفالِ ما أبدعه العقل اللغوى الغربىّ والاستعانة بما قدمه فى هذا المضمار بما يُعِينُ على اكتشاف بعض مجاهل البحث اللغوى العربى التى كانت موضعَ جدلٍ عنيفٍ فى الفكر النحوى العربى القديم، فضلا عن امتداده فى البحث اللغوى المعاصر، وقد كان حدُّ (الاسم) فى العربية أكثر هذه المواضع جدلا كما سيأتى.

ويعترف الباحث – هنا – بأنَّ جهود الأستاذين الكريمين: الدكتور محمود نحلة والدكتور محمد عبدالدايم[2] كان لها أثرٌ عميق فى توجيهِ الباحث وإضاءةِ السبيل أمامَه واطمئنانِه إلى تَحَيُّزِه لِمَا أثمره الفكر النحوى العربى، وفى النهاية إيمانه بضرورة تطوير المشروع اللغوى العربى الذى بدأه أسلافُنَا وقطعوا فيه شوطًا بعيدًا، وجزءٌ من هذا التطوير يقوم على استخلاص نظراتهم العميقة فى ظواهر العربية وصوغها فى نظرية متكاملة لا تنافُرَ بين عناصرها، وإلا فسنبقى أسرى الومضات العابرة والخواطر العارضة و(موضات) البحث العلمى.

أما البابان الرئيسان للرسالة بما يحتويان من فصولٍ ومباحث، فقد عرضهما الباحث كما يلى:

الباب الأول: فصائل الجوامد فى العربية، وفيه فصلان:

---

[1] فى الحق أن (مدخل الرسالة) كان من توجيه أستاذى الدكتور عُبَادَة واقتراحه، وقد أدرك الباحث – عَبْرَ بابى الرسالة – قيمة توجيه الأستاذ، حيث أغنى ذلك الباحث عن تفصيلات كثيرة فى صُلبِ الرسالة كان سيضطر إلى تناولها بما قد يؤدى إلى الإخلال بتسلسل الفكرة الأساسية للموضوع، وقد تبدو أهمية المدخل فى كثيرٍ من الإحالات إليه.

[2] وذلك فى كتابيهما: (الاسم والصفة فى النحو العربى والدراسات الأوربية)، و(النظرية اللغوية فى التراث العربى) على الترتيب.

الفصل الأول: الجوامد: أقسامها وخصائصها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الجامد والمشتق: مدخل مصطلحى.

وقد تناول فيه الباحث بالتحديد مصطلحى (الجامد) و(المشتق) والفصل بينهما وما تَفَرَّعَ عنهما من مصطلحات فى الدرس النحوى والصرفى قديمًا وحديثًا، غير غافلٍ جهودَ المستشرقين فى هذه القضية مع الإلمام بشىء من امتدادات المصطلح فى التراث اللغوى العالمى.

المبحث الثانى: تقسيم الجوامد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التقسيم ومعاييره.

وأهمية التقسيم تتلخص فى حفظ اللغة من الوقوع فريسةً للبس.

وبناءً على معيارَىْ (البِنْيَة الصرفيَّة) و(التركيب) رأى الباحث أنه يمكن تقسيمُ فصائلِ الجوامد أربعة أقسام رئيسة تشمل أنواعًا فرعية، هى:

القسم الأول: الاسم. القسم الثانى: الأفعال الجامدة.

القسم الثالث: الخوالف (أسماء الأفعال والأصوات). القسم الرابع: الحروف.

المطلب الثانى: خصائص الجوامد:

وقد عرض فيه الباحثُ أنواعَ الجوامدِ الفرعية تفصيلاً، وعالج خصائصها الصرفية وما بُنِىَ عليها من آثار تركيبية مما ساعدَ على الكشف عن مواضع التقاطع والتفاعل بين دائرتى النظامين: الصرفى والنحوى فى العربية.

الفصل الثانى: تشقيقات بِنْيَة الجوامد.

وفيه بَيَّن الباحث أن لفظ (التشقيق) يلائم مرحلة التوليد الأولى من الجامد بحيث تكون هذه الصيغة هى باب الدخول إلى سلسلة المشتقات القياسية التى ينطبق عليها مصطلح (الاشتقاق) تمام الانطباق. وقد شملت مرحلة التشقيق المذكورة:

أولا: تشقيقات أسماء الأعيان. ثانيًا: تشقيقات أسماء حروف الهجاء.

ثالثًا: تشقيقات ظروف الزمان، والمكان. رابعًا: تشقيقات أسماء العدد.

خامسًا: تشقيقات الأفعال الجامدة. سادسا: تشقيقات الخوالف.

سابعًا: تشقيقات حروف المعانى.

الباب الثانى: مسارات التحول بين الجمود والوَصْفِيَّة.

وقد تناول فيه الباحث التحولات الطارئة على الكلمة بين قطبى الجمود والوصف فى مسارين عكسيين من الجمود إلى الوَصْفِيَّة، ومن الوَصْفِيَّة إلى الجمود على مستويات ثلاثة: الدلالى والصرفى والنحوى، وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحولات البِنْيَة بين الجمود والوَصْفِيَّة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التحول الدلالى لِلْبِنْيَةِ، ويتخذ هذا التحول الدلالى مسارين هما:

المسار الأول: من الوَصْفِيَّة إلى الجمود.

(أ) الوصف عَلَمًا. (ب) الوصف اسمًا.

المسار الثانى: من الجمود إلى الوَصْفِيَّة.

(أ) العَلَم وصفًا. (ب) اسم الجنس وصفًا.

المبحث الثانى: التحول اللفظى لِلْبِنْيَةِ.

وفيه عالج الباحث أثر الدوالّ فى تحولات البِنْيَة بين الجمود والوَصْفِيَّة فى مسارين:

المسار الأول: من الجمود إلى الوَصْفِيَّة.

(أ) دالّ (الياء) المشددة الدالّة على النسب. (ب) دالّ (ياء) التصغير.

المسار الثانى: من الوَصْفِيَّة إلى الجمود.

(أ) دالّ (الياء المشددة + تاء النقل). (ب) دالّ (تاء النقل).

الفصل الثانى: أثر المَوْقِعِيَّة فى تحولات البِنْيَة بين الجمود والوَصْفِيَّة.

وتناول فيه الباحث شرطى الجمود والاشتقاق فى موقعيَّاتٍ مُحدَّدةٍ كالنعت والحال والبدل والتمييز...، وأثر المَوْقِعِيَّة فى التحولات الترددِيَّة بين الجمود والوَصْفِيَّة، وبين مسارى التحول يتَولَّدُ مسارٌ ثالث تراوغ فيه الكلمة بين القطبين، فتقع فريسةً للمتنازِعَينِ: الجمود والوَصْفِيَّة.

وقد عالج الباحث هذه المسارات الثلاثة التى تضبط إيقاعَهَا المَوْقِعِيَّةُ فى مبحثين:

المبحث الأول: المَوْقِعِيَّة بين اشتراط الجمود والاشتقاق، وفيه مساران:

المسار الأول: الجامد وصفًا. المسار الثانى: الوصف جامدًا.

المبحث الثانى: تأويلات المَوْقِعِيَّة بين تنازع الجمود والوَصْفِيَّة.

أما الخاتمة فقد عَرَضَ فيها الباحثُ أهمَّ النتائج التى كانت ثمرةً من ثمار التنقيب فى حقول التراث النحوى العربى، مُذَيِّلا هذه النتائج ببعض التوصيات التى قد يسترشد بها بعضُ الباحثين.

أما منهج الباحث فى هذه الدراسة فهو المنهج التحليلى الذى يتخذ من الوصف منطلقا لهذا التحليل.

وأخيراً: لقد أردتُ بهذه الدراسة أن أُقَدِّمَ تصوُّرًا شاملاً يقوم على أسسٍ علميةٍ واضحةٍ لظاهرةِ الجمودِ مع العناية بالتحولات التى تطرأ على بعض بِنَى هذه الظاهرة، فكأنها محاولة لرصد اللغة فى حَالَتَى الثباتِ والحركةِ، واللهَ أسألُ أنْ يُوَفِّقَنِى إلى الصواب ويغفرَ لى خطئى، فهو نعم المولى ونعم النصير.

والله من وراء القصد،،

الباحث: محمود عبد المنعم الديب